

ويطون الأودية»،⁽⁴⁾ ومنهم من «إذا لقي امرأة في طريق يرد وجهه إلى الحائط حتى تبعد منه»⁽⁵⁾... وطبعاً فإن أقوالهم تشذ عن المؤلف. فمنهم من «إذا تكلم بكلمة أعادها مراراً فإذا سمعه من لا يعرفه ظنَّ أنه مجنون»،⁽⁶⁾ ومنهم من يجعل كلامه «أمثالاً، فمن لم ينتبه له ويتأمله عدّه لغواً»،⁽⁷⁾ ومنهم المولع بتأويل معنى الكلمات تأويلاً غريباً فيصدم مخاطبيه ويشير استنكارهم، ولا يرتفع سوء التفاهم إلا عندما يفسر مغزى تورياته ومقصودها.⁽⁸⁾ ومنهم من يعلم ما تكنه الضمائر وما لا تفصح عنه الألسنة، ومنهم من يرى الأموات في المنام فيحدثهم ويحدثونه، ومنهم من «يكلم الجنَّ وحدثني أن أمير الجن عاهده أن لا يكتب مكتوبه لمصروع إلا برئ». ⁽⁹⁾ الكلام في هذه الحالة له قوة يصرّفها الولي في شتى الأغراض كإنزال المطر وقت الجفاف وإنزال العقاب بأهل الإساءة. وهكذا فإن أحد الأولياء سأل عن الفقهاء الذين أفتوا بإحراق كتاب الإحياء للغزالي «فكان كلما سمي له واحد منهم دعا عليه ثم قال : والله، لا أفلح هؤلاء الأشقياء ! فما انقضى شهر حتى مات جميع أولئك الفقهاء». ⁽¹⁰⁾ وعندما يعلم الناس أن الولي مجاب الدعوة فإنهم يهابون القوة الصادرة من كلامه ويتقون دعاءه.

على الرغم من امتلاك الولي لخاصية الكلام فإنه يهاب الكلام أحياناً، أو على الأصح يهاب السرد. فهو يحرم على نفسه رواية ما يحصل له من كرامات، حفظاً للسّر وصوناً لنفسه من العجب والافتتان. بل إنه يحرم السرد على غيره فيطلب ممن يشاهدون كرامته أن يستروه وألا يفشوا السّر وأن يصونوه إلى أن يموت، فهو

(4) ابن الزيات، ص 259.

(5) ابن الزيات، ص. 258 - 259.

(6) ابن الزيات، ص. 158.

(7) ابن الزيات، ص. 287.

(8) أشهر أبو العباس السبتي بمنّ التورية، وكان «قد أعطي بسطة في اللسان وقدرة على الكلام، لا يناظره أحد إلا أفحمه» (ابن الزيات، ص. 451).

(9) ابن الزيات، ص. 451.

(10) ابن الزيات، ص. 304.